البلباسي محمد عبد الفتاح ابراهيم

كاتب يترنح القلم بين أنامله !

يتمتع بهامة مرفوعة ، وقوام ملىء . ووجه بسام لا يعبس مطلقا ، أما شفتاه فقلما تنطبقان !

متواضع بشكل ظاهر ، ومؤدب أكثر مما يجب . تستطيع أن تقرأ فى عينيه كل ما يجول بخاطره ، وكل ما يتردد فى حنايا ضلوعه

ينطبق عليه التعبير الشائع « ابن حلال » من الدرجة الأولى ..

وفضلا عن ذلك ، فمن أظهر خصاله اهماله لنفسه ، وانكاره لذاته ، و « اعتماده » على الله ! ! !

قل أن يثور ، وقل أن يتمرد . . وقل أن تجد له منافساً يحاول أن ينال منه .

أما أنه « مصنع » لا يتوقف انتاجه . فهذا مما لا ريب فيه . يغذى السوق الثقافى ببضاعته من حين لآخر . وحديث الناس عن جودة هذه البضاعة أو عدم جودتها لا يعنيه بقدر ما يعنيه رضاء ضميره !!

وقد لا تستطيع أن تفرق بين عبد الفتاح الأديب وعبد الفتاح الضابط فلا شيء يفصل بين الاثنين حتى فى ساعات العمل .. ، ومهما كان العمل مجهداً ومضنيا فهو يفكر فى كتبه ويخط من سطورها الكثير . وقد يكتب ويفكر ويتحدث فى المسرة ويخاطب من يكونون فى زيارته وكل هذا فى وقت واحد ..

ولعلها طاقة يتميز بها وحده ويفاخر بها ..

فاذا انتهت ساعات النهار .. لم ينس عمله ولم يغفل كتبه ..

لا يعرف دور اللهو .. ولكنه مع هذا قد تراه فى مقهى أو تلقاه فى الطريق .. وفى أى من الاثنين تراه إما يكتب وإما يتأبط كتبه . . لا تقابله إلا بصحبة ناشر أو تاجر ورق أو صاحب مطبعة أو فى مكتبة يبتاع كتباً . وهو فى كل هذا له بوهيمية طليقة قد تكون هى التى ربطت بينه وبين هذه المجموعة المتباينة من الناس ..

وهو إذ يقرأ يأكل الكتب فى سرعة . فاذا كتب فلا يتوقف ولهذا يحمل دائما مجموعة غريبة من الاقلام الرصاص والحبر . ولا يتمهل لمطالعة ما كتب إلا اذا انكسرت كل الأقلام التى أمامه . عنيد فى اعتزازه بما يكتب . وقد تظن أن فى هذا نوعاً من الغرور ، ولكنه عنيد على أساس ايمانه بأنه خير ما يمكن أن يكتب هو ما يجيء فى البداية ..

وصاحبنا يكتب فى كل مكان .. يكتب فى محل عمله وفى منزله وفى النادى بل وفى الترام أو السيارة وفى المقهى ..

يسد أذنيه عما حوله حين يريد . . فلا تعنيه الضجة ولا يضايقه تصايح الناس من حوله . وقد تندهش إذا علمت ـ كما قال لى ـ إن أكثر من نصف

مؤلفاته أنشئت فى مقهى السنترال بميدان الملكة فريدة بالقاهرة وهو مقهى يذكرنا ببرج بابل . . لتزاحم الناس فيه وتباين ألوانهم ولغاتهم والضجة التى يثيرها لاعبو النرد من أبناء اسرائيل . .

وقد بدأ « عبد الفتاح » كاتباً بالسليقة وهو بعد فى منتصف الدراسة الثانوية . وقد ظهرت له إذ ذاك بعض قصص طويلة مترجمة نشرها الأستاذ محمود محمد صاحب مكتبة الوفد بشارع الفلكى بالقاهرة . .

بيد أنه ينسب توجيهه للكتابة إلى المرحوم الأستاذ سيد على صاحب النظام . .

وبرغم كثرة ما نشر فى الصحف الدورية كان يكره التحرير السياسى . ولهذا اتجه منساقاً الى التحرير الاجتماعى . فكانت له نقدات لاذعة فى « مصر الحرة » و « الفنون » و « جريدة الحرم » التى كان يصدرها نفر من أبناء الحجاز فى القاهرة . .

ثم انتقل من الحياة المدنية الى العمل فى الجندية فتحول بالطبيعة الى الى كاتب عسكرى . . ولما كان قد شغف بدراسة التاريخ الحربى فإن أول كتاب له - فى رأيه هو - يجب أن يكون كتاب « أربعون يوماً من عام ١٩١٤ » الذى عربه عن كتاب الجنرال موريس ونشرته مكتبة الخانجى . .

وهو يكتب بتأثيرات خاصة قد تكون هى التى توحى اليه بمادة كتبه . فتراه قد اشترك لأسباب عائلية خاصة فى تحرير « مكتبة البيت » التى أصدرتها « دار النشر » ، وان كان واحداً منها لم يحمل اسمه بل علاها اسم ابنة له ماتت منذ أعوام وأعوام وهى بعد فى أيامها الأولى . ثم اشترك فى تحرير مكتبة البيت التاريخية التى أخرجت منها الدار مجلدات ثلاثة . . يحمل أحدها اسم ولده عادل . .

وقد نظم صاحبنا القصيد ثم نفض يديه منه عندما تيقن أن صناعته فيه تقليدية ... ولكنه كتب كثيراً فى نقد الشعر فى مجلة أبولو لشعراء الشباب . ونشرت له عدة كتب منها « شعراؤنا الضباط » تناول فيه الحديث عن البارودى وحافظ وعبد الحليم المصرى وتوفيق على ومحمد فاضل . وكتبه عن « المتنبى » و « ولى الدين يكن » . وكان آخرها كتابه « هم الغاوون » يتحدث عن عشرين من الشعراء القدماء والمحدثين ..

وقد يكون أهم ما يعنينا مما أخرجت له دور النشر كتبه العسكرية . وأغلبهـــا فى تصوير وتبسيط تكتيكات القتال . وإلى جانب هذا مجموعة طيبة من رسائل الثقافة الحربية بسطت الكثير من المسائل الوثيقة الصلة بالحرب كالماء والغذاء والصناعة والمواصلات والزراعة والمال .. مع مجموعة أخرى فى الجندية وحقوق الجند من أبعد العصور إلى وقتنا هذا

ولا جدل فى أن القاعدة التى تستند اليها دراسات عبد الفتاح ابراهيم منقولة عن كتب الغرب ولكنك غالباً لا تشعر بأنك تقرأ كتاباً مترجماً فقط .. ذلك لأنه فى الواقع لا يعرب كتاباً وإنما يهضم عدت كتب ثم يدس آراءه الخاصة فى سياق ما جاء به من مطالعته ، ودراساته أغلبها يتجه به إلى الاستراتيجية العامة وان كان كثيراً ما يتوقف ليجادل فى الأوضاع التكتيكية البسيطة

أما الأطناب .. فهو من الملامح البارزة فى كتاباته ... الشىء الذى يجعل البعض يتهيب تناولها ، وقد يحجم عن تصفحها !

ويقال إنه لا يتحرى الدقة فى انتقاء ألفاظه . فهو أشبه ما يكون فى

طريقة عرضه لسلعته بالتاجر الشرقي ! الذي يعتمد على جودة بضاعته ، لا على حسن دعايته .

وهو لم ينس أن بعض المدنيين من هواة قراءة الكتب العسكرية قد يقرأون كتبه ولهذا فانه يبسط أدق النواحي الفنية حتى تبيت ميسورة سهلة وأصدق مثل لهذا كتابه « الحرب البرقية » وكتاب « التحركات والوقاية الجوية » الذي طبعت منه طبعة خاصة في رسالتين متتاليتين من رسائل الثقافة العسكرية

وعبد الفتاح ابراهيم — لاعتزازه بما يكتب كما قدمت لك — له مزاج خاص في الاحتفاظ بأول نسخة من كل كتاب له ... ثم هو يهدي النسخ الأولى لأصدقائه ... ويطرب عندما يحدثه فرد عن اعجابه بما يكتب. ولكنه برغم هذا كله وبرغم عناده الذي قد يظن بأنه نوع من الغرور خجول عند الجدل والنقاش حول كتاب له أو رأي هو صاحبه فيغضي حياء .. وينسب كل هذا التوفيق لغيره .. ثم يعيش مغموراً ، حتى ليكاد يكتب الكتاب وهو لا يطمع في أكثر من أن ينشر ولا يعنيه حتى لو وضع الناشر أسماء غير اسمه على صفحته الأولى

نعم ! إن كل همه أن يرقب ما كتب يطل على الناس من واجهات المكاتب ..

وقد يكون لزوجته نصيب كبير في كتبه لأنها تكره الكتابة وتضيق بالتحرير ..

ونتيجة لهذا يعزف عن الجدل المنزلي . فلا يجد وسيلة لقطع الأيام والليالي إلا أن يكتب .

ولست أدرى ماذا يكون صاحبنا لو كان موفقاً فى حياته الزوجية ! لعله كان يعيش قارئاً لا أكثر ولا أقل ..

وأخيراً إنى أتخيل عبد الفتاح ابراهيم يقبض على قلمه كما لو كان معولا يضرب به — أناء الليل وأطراف النهار — فى الصخر ! ؟

وحين يتساءل كائن من كان عن أفضل ما كتب هذا الكاتب فنقول على حد رأيه :

شعراؤنا الضباط
المتنبى
ولى الدين يكن
رحى الصيف
هم الغاوون
} فى الأدب و نقد الشعر

قطط جائعة
} قصص

موسولينى وحوض البحر الأبيض المتوسط
من مصر الفرعونية — الحياة والأسرة
أربعون يوماً من عام ١٩١٤
أحاديث فى الحرب
} بالاشتراك مع اليوزباشى السيد فرج
الحرب البرقية
التحركات والوقاية الجوية
الجيش الثامن
} بالاشتراك مع الأستاذ محمد حمدى
بين حربين
محمد القائد

القائد كلاوزيتز

سوفروف

أما ماسطره من رسائل الثقافة الحربية فهى على التوالى :

القادة والقيادة بالاشتراك مع البكباشى عبد الرحمن زكى

القوى المعنوية فى الحرب الشاملة

فى القيادة

الماء والحرب

النيل

الغذاء والحرب

الجندية وحقوق الجند فى دولة حمورابى

الجندية وحقوق الجند فى فجر الإسلام

الجندية وحقوق الجند فى أوربا المسيحية

الصناعات والحرب

التحركات والنقل والوقاية الجوية

السلاح الجوى فى المعركة الحديثة

الزراعة والحرب

الحرب ـ قانونها والمعاهدات التى تربط بين الأمم

الهدنة فى التاريخ بين الأمس واليوم

السلام العالمى ومشكلاته

* * *

ولست أدرى بين اللحظة التى أخط فيها هذه السطور والتى يخرج فيها هذا الكتاب ماذا يكون صاحبنا قد نشر أو أعد من مؤلفات .